**المبحث الثالث/ الاتساع في الدلالة اللغوية**

**عرفنا أنّ الاتساع مظهر من مظاهر التطور اللغوي وأنَّ الدلالة اللغوية تتطور بهذا التطور وتطورها يُعدّ ضرباً من الاتساع فيها وان هذا التطور جاء تبعاً لتطور المجتمع الانساني الحاصل نتيجة عوامل اجتماعية وحضارية وسياسية لذلك فان التغير الدلالي هو ظاهرة اجتماعية تحدث نتيجة تطور الحاجات الانسانية في المجتمع من حيث عقليته وثقافته ووسائل انتاجه المختلفة، فاللغة تتطور بتطور المجتمع كما انها تنحط بانحطاطه(1).**

**ان هذا التطور الحاصل في المجتمع يؤدي الى حصوله في اللغة ومظاهرها وقد اجمعت الدراسات على انه تطور غير مقصود يحدث تلقائياً ليس لارادة الانسان أثر فيه لذلك لا يمكن اعاقته، فتتغير دلالات الالفاظ من زمن الى آخر بحسب الاستعمال المجازي لها(2)، ونلاحظ تغير الدلالات ايضاً بحسب السياق في النص الواحد من ذلك ما نجده بين الفاظ الطبيعة كمظهر من مظاهر التعبير القرآني في عرض مشاهد الطبيعة(3)، كقوله تعالى: فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ(4) فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وكذلك الرمان فاكهة ودواء(5)، فاجمل الله تعالى قوله بذكر الفاكهة ثم خصصه بالنخل والرمان لفضلهما على باقي الفاكهة(6).**

ينظر التطور اللغوي مظاهره وعلله: 5، ولحن العامة والتطور اللغوي: 30، والمعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث: 119، والبحث الدلالي في تفسير ابي السعود رسالة دكتوراه: 168

ينظر الاضداد في اللغة: 69

ينظر العلاقات بين الفاظ الطبيعة في القرآن رسالة ماجستير: 237، 243

الرحمٰن: 68

ينظر تفسير ابي السعود: 5/660

ينظر العلاقات الدلالية رسالة ماجستير: 243

**إن العلاقة بين الألفاظ ودلالاتها في الاتساع علاقة وثقى لذا ذكر احد الدارسين أنه "من الصعب التحدث عن اتساع الالفاظ والتراكيب بمعزل عن اتساع الدلالة"(1)، وقد قال عبد القاهر الجرجاني: "إنه لن تتسع المعاني حتى تتسع الألفاظ"(2) هذا يعني –كما قلنا سابقاً- إن الالفاظ هي صورة للمعاني المقصودة والاتساع في المعنى يقع ضمن الاتساع في التراكيب أي أن المعنى قد يكون مفرداً يقع في المفردة الواحدة من حيث الترادف والاشتراك وغيرهما من الظواهر اللغوية وقد يكون في نص واحد بان تحتمل التراكيب داخل النص اكثر من معنى يفهم من السياق قد يكون ظاهراً فيه وقد يتضمنه من خلال الاساليب البلاغية كالاستعارة والتشبيه والاستعمال المجازي للاساليب اللغوية كالاستفهام المتضمن لمعانٍ اخرى والامر والنهي وغيرهم من الاساليب اي خروج النص عن سياقه الظاهر، مثلاً في معنى قوله تعالى: أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء(3) والمعنى (بل ألهم شركاء من الشياطين) فذكر ابو السعود ان الاستفهام هنا ذُكر للتقرير والتقريع(4)، بينما قوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً(5) فالمعنى (بل أيقولون)، والهمز في قوله تعالى (افترى) ورد للانكار التوبيخي(6)، فنلاحظ ان الاستفهام الوارد في معنى كلا الموضعين قد خرج عن افادة الاستفهام في السؤال عن شيء مجهول الى معنى آخر فُهِمَ من السياق الذي وردت فيه اداة الاستفهام (الهمزة) في الموضعين.**

الاتساع في اللغة عند ابن جني رسالة دكتوراه: 247

الرسالة الشافية: 143، وينظر التفكير اللساني: 324

حم (الشورى): 21

ينظر تفسير ابي السعود: 5/527

حم (الشورى): 24

ينظر المصدر نفسه: 5/528

**وفي قوله تعالى: وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ(1) ذكر في تفسيرها ابو السعود: "أي فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع ألم يكن تأتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم"(2) فالتوبيخ والتقريع هو المعنى الذي افاده السياق فخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي، وكذلك في قوله تعالى: فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ(3) فالاستفهام افاد التعظيم والتعجيب(4)، ونلاحظ ان هذا الاستفهام في هذه الآية يتكرر في السورة الوارد فيها (سورة القمر) وفي كل مرة يفيد غرضاً معيناً اخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي ففي الاولى كما قلنا أفاد التعظيم والتعجيب وفي الثانية جاء ذكره لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره وفي المرة الثالثة إعادة لمعنى التهويل والتعجيب(5)، فالتعظيم الاول كان لامر نزول القرآن اما التعظيم الثاني فكان لشدة عذاب المشركين فيكون المعنى على ذلك (ان الله انزل امراً عظيماً فمن كذب به له عذاب عظيم) وقد ورد بين الامرين تنبيهاً ليوجههم الى نوع العذاب الذي سيحيق بهم في الآخرة والاسلوب الوارد في المواضع الثلاثة هو الاستفهام المجازي، فاتساع المعنى هنا ورد من جانبين الاول هو خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي الى معاني اخرى فهمت من السياق، والثاني: هو تكرار ذلك الاستفهام في السياق الواحد.**

**ونجد مثل ذلك في اسلوب الامر فصدوره من رتبة اعلى الى ادنى هو امر حقيقي فاذا تغيرت فيفيد معنىً ’آخر غير الامر، مثلاً افادته الدعاء في قولنا (اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وادخلنا الجنة مع الابرار) فلفظ (آتنا وقنا وادخلنا) افعال أمر افادت الدعاء فخرجت عن المعنى الحقيقي الى معنى آخر**

1. الجاثية: 31
2. تفسير ابو السعود: 5/568
3. القمر: 18، 21، 30
4. ينظر المصدر نفسه: 5/655
5. ينظر تفسير ابي السعود: 5/656

**اقتضاه السياق، وقولنا في النهي (اللهم لا تخلنا من واعظ) نهي افاد الدعاء، وقد يفيد كل من الاسلوبين (الامر والنهي) الالتماس عند تساوي الرتب وبذلك يخرج كل منهما عن معناه الحقيقي، الا أن الاستفهام اكثر الاساليب استخداماً لافادة المعاني المجازية فنجد له أمثلة كثيرة من ذلك قوله تعالى: وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِِ(1) فذكر ابو السعود في قوله تعالى (أصحاب اليمين) شروع في تفصيل لما ورد ذكره مجملاً في الايات السابقة لها، وان جملة (مااصحاب اليمين) افادت التفخيم والتعجيب من حالهم فهذا اتساعٌ في المعنى، وقد ورد فيها اتساعٌ في التركيب أيضاً وهو ما ذكره ابو السعود من تعدد الاوجه الاعرابية فيها فذكر ان قوله تعالى (اصحاب اليمين) مبتدأ، اما جملة (مااصحاب اليمين) قد تكون على الرفع على انها خبر له، وجعلها مرة اخرى على انها قد تكون معترضة لا محل لها من الاعراب وبذلك يكون الخبر لها التالي من قوله تعالى (في سدر مخضود)، وعند اعتبار جملة (ما اصحاب اليمين) خبراً فيكون قوله (في سدر مخضود) خبراً ثانياً للمبتدأ، أو على وجه آخر يجعله -أي قوله (في سدر مخضود)- خبر لمبتدأ محذوف فتكون جملة المبتدأ المحذوف وخبره المذكور استئناف لبيان ما أُبهم في قوله تعالى (ما اصحاب اليمين)(2).**

**عالج القدماء الدلالة اللغوية كمستوى لغوي وبحثوا في اصلها وسبل انتقالها وتطورها وفق قوانين التطور من قبيل الانتقال من العام الى الخاص والعكس أو تضييقها وتوسيعها والاصل في الاستعمال إزاء المتسع فيه حتى يتبيّنوا صورة التحول الدلالي كانتقال الدلالة عن طريق الاستعارة واتساعها عن طريق الاشتقاق من اصول لغوية، وكانتقال الدلالة من الحسي الى المعنوي على طريق الاتساع كما في قوله تعالى: سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ(3) نلاحظ انتقال الفعل (أُلقي) من الحسي الى المعنوي وكذلك المطاوعة والانقياد في معنى الفعل كما في دحرجت الحجر فتدحرج(4)، فقال فيه ابن الجزّار: "وهذا من اتساع المعاني"(5).**

الواقعة: 27

ينظر تفسير ابي السعود: 5/673

الانفال: 12

ينظر الاتساع عند ابن جني اطروحة دكتوراه: 32-34

التفسح: 107

**ان المستوى الدلالي للالفاظ هو احد مستويات اللغة الاربعة كضرب من ضروب الاتساع عند القدماء الى جانب المستوى الصرفي والتركيبي والصوتي وهو ما يدعو اليه الدرس اللغوي الحديث الآن(1)، هذا يعني رغم وجود اشارات موجزة الى ضروب الاتساع عند القدماء الا انهم كانوا على وعي تام به(2)،**

**ان اللغة تنتقل من جيل الى آخر على مراحل تعتريها تغيُّرات وهذه حقيقة تدل على المرونة في الاستعمال اللغوي وعدم ثبات الظواهر اللغوية(3)، واللغة العربية اكثر اللغات تطوراً وتغيراً في مفرداتها ودلالات الفاظها وابرز مثال على ذلك كتب العلماء القدماء نلاحظ وجود مصطلحات عندهم تغيرت مسمياتها ودلالاتها الآن.**

**المحدثون ايضاً عنوا بظاهرة التغير الدلالي لارتباط تطورها بتطور المجتمع فعملوا على تتبع (علم الدلالة التاريخي) لعنايته بدراسة تغير المعنى عبر الزمن، وصنفوا التغيرات الحاصلة للمعاني بناءً على اسس منطقية ووضعوا قوانين ونظريات متعددة في بيان اسباب التغير في المعاني وقد حددوها باسباب ثلاثة هي:- لغوية وتاريخية واجتماعية، ثم بينوا العوامل المتسببة في حياة الالفاظ او موتها(4).**

1. ينظر فقه اللغة في الكتب العربية: 183
2. ينظر الاتساع عند ابن جني: 35
3. ينظر دور الكلمة في اللغة: 170-171
4. ينظر علم الدلالة: 24، ومدخل الى علم اللغة: 145-150، ودور الكلمة في اللغة: 155، والتطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم: 45، ودلالة الالفاظ: 134-167، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 305-316، وعلم اللغة بين القديم والحديث: 212-225

**وقد حدد علماء اللغة المحدثون اشكال التغير الدلالي وفقاً لما توصل اليه القدماء في دراساتهم وبحوثهم الدلالية فكانت على اربعة اشكال(1):-**

1. **التعميم الدلالي**
2. **التخصيص الدلالي**
3. **الانتقال الدلاليّ او نقل المعنى**
4. **المبالغة**

**والذي يهمنا في مضمار دراستنا هو (التعميم الدلالي) لانه ضرب من الاتساع في المعنى، وقد اطلق عليه تسميات اخرى مثل (توسيع المعنى أو امتداده)(2) ، ويكون ذلك حينما تنتقل لفظة من دلالتها الخاصة الى معنى اعم واشمل من دلالتها الاولى(3) بشرط شيوع استعمالها حيث ان "كثرة استخدام الخاص في معانٍ عامّة عن طريق التوسّع تزيل مع تقادم العهد خصوص معناه وتكسبه العموم"(4).**

**ونجد هذا الشكل الدلالي في تفسير ابي السعود حيث كانت له وقفات تفسيرية وتحليلية للالفاظ القرآنية التي عُمِّمَت دلالتها بعد ان كانت خاصة، فهو يذكر المعنى اللغوي للفظة في اصل اللغة ثم يذكر خاصتها متنقلاً بها الى ما عُمِّمَت له من ذلك لفظة (مقام) في قوله تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ(5) فذكر المراد من قوله تعالى (في مقام) اي في موضع قيام وقال ان المراد به المكان على الاطلاق(6) ثم قال"فانه**

ينظر دلالة الالفاظ-ابراهيم انيس: 154-156، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 305-316، وعلم الدلالة-احمد مختار عمر: 235-250، وعلم اللغة بين القديم والحديث: 212-225، وعلم اللغة –د.وافي: 313-338، والبحث الدلالي عند ابي السعود رسالة ماجستير: 170

ينظر علم الدلالة (عمر): 243، والتطور الغوي مظاهره وعلله وقوانينه: 114

ينظر علم الدلالة (عمر): 243

علم اللغة-د.وافي: 320

الدخان: 51

ينظر تفسير ابي السعود: 5/560

**من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم"(1) وقد ذَكَر أنه قًرِئَ ايضاً بضم الميم وافاد معنى (موضع اقامة)(2) ومنه ايضاً لفظة (قوم) بعد ان كانت خاصة فقط للرجال اصبحت تشمل الرجال والنساء للتعميم كما في قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ(3) فقال ابو السعود ان لفظة "القوم مختص بالرجال لأنهم القوام على النساء وهو في الأصل إما جمع ...أو مصدر نعت به فشاع في الجمع وأما تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في الجامع والتنكير إما للتعميم أو للقصد الى نهي بعضهم عن سخرية بعض..."(4).**

**وفي لفظة (اليتامى) من قوله تعالى وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ(5) فذكر فيها ابو السعود ان المذكور هو لفظ لفظ اليتامى والخطاب للاولياء والاوصياء وان اختصاص هذه اللفظة على الصغار مبني على العرف وان هذه اللفظة شملت الصغار والكبار حين نزلت هذه الآية لانها شملت في الحكم من كان صغيراً قبل نزولها وان اطلاق اسمهم على الكبار كان مجازاً بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتم ليحث الاولياء على المسارعة لهم بدفع اموالهم اليهم(6).**

**ومثل ذلك لفظة (تعالوا) في قوله تعالى: قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً(7) فذكر فيها ابو السعود انها أمر مأخوذ من التعالي(8) فقال فيها: "والاصل فيه أن يقوله من في مكان عالٍ لمن هو في أسفل منه، ثم اتّسع منه بالتعميم"(9) اي به يطلب الصاعد من النازل اللحاق به ثم اتسع ليشمل كل من**

تفسير ابي السعود: 5/560

ينظر المصدر نفسه: 5/560

الحجرات:11

تفسير ابي السعود: 5/612-613

النساء: 2

ينظر تفسير ابي السعود: 1/478

الانعام: 151

ينظر تفسير ابي السعود: 2/219

المصدرنفسه

**اراد ان ينادي شخصاً للّحاق به، وقد توصل الى هذا التعميم قياساً للتعميم الحاصل في لفظة غَنِمَ(1) فبعد أن كانت–تعالوا-تعني الرفعة والعلو تطورت عند اطلاقها على الواقف والماشي(2) وفي تعبيرهم (تعال اليّ) اي: اصعد اليّ(3)، ومن ذلك ايضاً لفظة (سبحان) بعد ان كانت تعني في اصل اللغة (التسبيح)، وهو التنزيه لله عزّ وجلّ من كلِّ سوء، وإبعاده عنه(4) اصبحت تطلق على كل متعجب منه ففي قوله تعالى: قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ(5) ذكر فيها ابو السعود بانها "تعجب ممن تفوه به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى،....ثم كثر حتى استعمل في كلِّ متعجب منه"(6).**

**وفي قوله تعالى: وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ(7) فلفظة (غنمتم) من الفعل الثلاثي (غَنِمَ)، ويراد به اصل اللغة: إفادة شيء لم يُملَك من قبل(8)، وهو أيضاً الظفر بمال العدو(9)، وفي اتساع معناها في هذه الآية قال أبو السعود: "وأصل الغنيمة إصابة الغنم من العدوّ ثم اتسع وأطلق على كل ما أصيب منهم كائناً ما كان... ثم استعملت في إصابة كل ما يصاب منهم اتساعاً، ثم في الفوز بكلّ مطلب من غيرمشقّة "(10) ومثلها لفظة (نستدرجهم) في قوله تعالى: سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ(11)، قال أبو السعود: "(سنستدرجهم) استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب...أي سنستزلهم الى**

ينظر تفسير ابي السعود: 2/360، 219

ينظر الجامع لاحكام القرآن: 7/130-131

ينظر العين: 2/245-246 (علو)، والمقاييس في اللغة: 292، والمعجم الوسيط: 2/625

ينظر المقاييس في اللغة: 502، والقاموس المحيط: 1/234، ولسان العرب: 9/471 (سبّح)

النور: 16

تفسير ابي السعود: 4/76

الانفال: 41

المقاييس في اللغة: 805

المعجم الوسيط: 2/664

تفسير ابي السعود: 2/360-361، 219

ن (القلم): 44

**العذاب درجة فدرجة بالاحسان وإدامة الصحة وازدياد النعمة"(1) وذكر ان هذا المعنى هو الانسب في هذه الآية حيث ان معناها التدرج في النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم قال: "اتّسع فيه فاستعمل في كلِّ نقل تدريجيّ، سواء كان بطريق الصعود او الهبوط أو الاستقامة"(2). لذا كانت خصوصية اللفظ اطلاقه على صعود الدرج ثم اتسع ليشمل الصعود عاماً(3).**

**وكذلك في لفظة (ياويلتا) في قوله تعالى: قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ(4) فقد جاء في تفسير ابي السعود قوله: إِنَّ "أصل الويل: الخزي، ثم شاع في كل أمر فظيع"(5) فخصوصية اللفظة تدل على انها كانت تعني الفضيحة، وحلول الشرّ، ثم اتسعت دلالتها لتشمل اطلاقها على كل شر على الاطلاق وقد تستعمل ايضاً في التحسر حين الندم على أمرٍ ما(6).**

**وفي تفسير (يرقبوا) في قوله تعالى: كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً(7)، قال فيها أبو السعود: "لا يرقبوا فيكم: أي: لا يراعوا في شأنكم، وأصل الرقوب: النظر بطريق الحفظ والرعاية، ومنه الرقيب، ثم أُستعمل في مطلق الرعاية والمراقبة أبلغ منه كالمراعاة"(8)، وفي اللغة فإن (الرقيب) هو الحافظ أو الحارس(9)، ثم توسعت دلالتها فأصبحت تطلق على كل رقيب أو مراقب في الخير والشر(10).**

تفسير ابي السعود: 5/758

المصدر نفسه ، وينظر العين: 6/77 ، ولسان العرب: 9/226 (درج)

ينظر البحث الدلالي في تفسير ابي السعود رسالة: 178

هود: 72

تفسير ابي السعود: 3/51

ينظر العين: 2/154، والمقاييس في اللغة: 417، والقاموس المحيط: 1/77

التوبة: 8

تفسير أبي السعود: 2/386، وينظر رسالة ماجستير البحث الدلالي: 178-182

ينظر العين: 2/154، والمقاييس في اللغة: 417، والقاموس المحيط: 1/73

**ينظر العين: 5/154، والمفردات في غريب القرآن: 201**

**نلاحظ أن اللفظة القرآنية مواكبة لتطور المجتمع الانساني فهي موافقة لتطور الحياة الاجتماعية في كل زمان ومكان فالصيغة القرآنية ثرّية بمضامينها كما أن القرآن الكريم قد أُنزل للانسانية في جميع عصورها وأطوار حياتها وهذا تبعاً لسر الاعجاز في نظمه ومعناه وسر بقائه وديمومته فلو لم تكن اللفظة أو الصيغة فيه بهذه المرونة لتجاوزه الناس بما يمليه عليهم التطور الفكري الى جانب تطور آلية الفهم لذلك يرى البعض أن النص القرآني عند قراءته للمرة الاولى يخيل اليك انك قد أحطت به خُبْراً ولكن عند الرجوع اليه والامعان فيه تجد نفسك إزاء معنى جديد آخر ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ(1) فهي تحمل عدة معان هي(2):-**

1. **انه سبحانه يرزق من يشاء بغير محاسب يحاسبه ويسأله .**
2. **يرزق بغير تقتير ولا محاسب لنفسه عند الانفاق وخوف النفاد.**
3. **يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب.**
4. **يرزق بغير معاتبة ولا مناقشة له على عمله .**
5. **يرزقه رزقاً كثيراً لا يدخل تحت حساب.**

**فهذه المعاني كلها صحيحة وصائبة في الآية وهذا دليل مرونة لفظة (حساب) فيها(3)، لذلك فإن القرآن الكريم يخاطب الاجيال كافة ومعالج لامور الحياة كافة لذا علينا أن نكتفي به دستوراً منظماً لجوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولذلك قال محمد الطاهر بن عاشور: "القرآن لكونه كتاب تشريع وتأديب وتعليم لأمة؛ كان حقيقاً أن يودع فيه من المعاني والمقاصد أكثر ما تحتمله الالفاظ في أقل ما يمكن من المقدار....ليحصل تمام المقصود من الارشاد الذي جاء لأجله في جميع نواحي**

1. البقرة: 212
2. ينظر دلالة السياق: 66-67
3. ينظر المصدر نفسه

**الهدى..."(1)، وهذه المرونة في اللفظة القرآنية زادها مرونة فوق مرونتها عنصر التأويل في معانيه الحادثة الصحيحة لذا فالقرآن الكريم له قابلية الاتساع إلا أنه في الوقت نفسه محكم مما لا مجال فيه الى الاختلاف والتشابه في المدارك والأفهام(2).**

**فلو نظرنا مثلاً في قوله تعالى: يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ(3) فورد عند اهل اللغة والتفسير ان الخشية والشفقة كلاهما خوف الا انهما لفظان مختلفان فالخشية تعني الخوف مع التعظيم، اما الاشفاق فهو خوف مع الرقة في القلب لذا يقال الام تشفق على وليدها(4)، فقال ابو السعود في تفسيره لهذه الآية: "وأصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه أظهر وعند تعديته بعلى ينعكس الأمر"(5)، اي عند تعدية الخشية ﺒ (من) يكون معنى الخوف فيه أوضح وعند تعدية الخشية ﺒ (على) يكون معنى الاعتناء في الاشفاق اوضح فالفرق بين قولنا (من خشيته مشفقون) و (على خشيته مشفقون)، وفي دلالة الشفقة قال ابو هلال العسكري: "إن (الشفقة) ضرب من الرقّة وضعف القلب ينال الإنسان، ومن ثم يقال للأمّ إنها تشفق على ولدها، أي: ترقّ له، وليست هي من الخشية والخوف في شيء..."(6) فهو نفس الفرق في قولنا (خائف منه) وقولنا (خائف عليه).**

**ومن ذلك أيضاً لفظتا (رسول ونبي) في قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ(7) فذكر ابو السعود فيها ان لفظة (النبيّ) أعم من الرسول فقال فيهما**

1. التحرير والتنوير: 74
2. ينظر دلالة السياق: 68-70
3. الانبياء: 28
4. ينظر جامع البيان: 17/17، والجامع لاحكام القرآن: 14/295، وفتح القدير: 3/405
5. تفسير ابي السعود: 3/514
6. الفروق اللغوية: 200
7. الحج: 52

**"والنبيّ غير الرسول: من لا كتاب له، وقيل:- الرسول من يأتيه الملك بالوحي، والنبيّ يقال له ولمن يوحى إليه في المنام"(1).**

**نجد مثل تلك الدلالات الكثير في القرآن الكريم، ومن الظواهر اللغوية التي تصيب المفردات ضمن دلالاتها اللغوية (الترادف، والمشترك اللفظي، والاشتقاق، والتذكير والتأنيث) وكلها من مظاهر الاتساع في اللغة وفي المعنى واليك بيان ذلك:-**

1. **الترادف:-**

**هو ظاهرة لغوية تنبه العرب اليها عندما وضعوا قواعد اللغة نتيجة الحس اللغوي المرهف الذي سمعوه من القبائل العربية بعدما تكونت لديهم مجموعة من الفاظ تدل على معنى واحد أو لفظ واحد يدل على عدة معانٍ، وهذه الظاهرة وجدت في اللغة العربية أكثر من غيرها من اللغات لذا قال علماء اللغة "إنَّما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في كلامهم، كما زاحفوا في أجزاء الشعر ليدلوا على أنَّ الكلام واسع عندهم، وإنَّ مذاهبه لاتضيق عند الخطاب..."(2).**

**وقد أشار اللغويون القدماء الى هذه الظاهرة بتسميات متقاربة فمنهم من قال انها الفاظ مختلفة لمعنى واحد وقالوا انها تعدد الاسماء للمسمى الواحد كأسماء السيف فمنه الحسام والصارم والعضب وغير ذلك، والترادف تسمية مأخوذة من ركوب واحد تلو الآخر(3) فجعلوا اللفظين مركبين لمسمى واحد كلفظ الليث والأسد فكلاهما يشيران لنفس الحيوان.(4)**

تفسير ابي السعود: 4/26، وينظر البحث الدلالي في تفسير ابي السعود اطروحة دكتوراه: 131-145

المزهر: 1/400، وينظر جواهر الالفاظ: 2، وعلل التعبير القرآني في مؤلفات السيوطي رسالة دكتوراه: 357

ينظر الصحاح (ردف)، ولسان العرب (ردف)، والمعجم الوسيط (ردف)

ينظر التعريفات: 160-167

**وقد عرفوا الترادف بأنه "الالفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"(1)، وعرفه السيوطي بانه: "التعبير عن اللفظ بمرادفه لنكتة"(2) وقال فيه ابو هلال العسكري: "أن يريد المتكلم الدلالة على معنىً فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به، ويأتي بلفظ هو ردفه وتابع له، فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده"(3).**

**نجد هذه الظاهرة كثيرة جدا في اللغة العربية وما المعاجم العربية إلا دليل على ذلك ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(4) ففي تفسيرها أن كلمة (ابلعي) تعني (انشقي) وجاءت الاولى استعارة من ادزراد الحيوان ما يأكله للدلالة على أن ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي، ولفظة (اقلعي) أي (امسكي عن ارسال المطر)، ولفظة (غيض الماء) أي (نقص ما بين السماء والارض من الماء)، وقوله (وقضي الأمر) أي أنجز ما وعد الله تعالى نوحا من اهلاك قومه وإنجائه باهله أو أتم الامر، ولفظة (استوت) اي (استقرت الفلك)، وقوله (بعداً للقوم الظالمين) أي (هلاكاً لهم)(5)، وبذلك لاحظنا أن كل لفظ ومرادفه في اللغة يشير الى نفس المعنى المقصود إلا أن الاول يكون ابلغ في السياق الوارد فيه، وكذلك نجد هذا الترادف بين الفاظ القرآن الكريم بذكر لفظة في موضع ومرادفها في موضع آخر وهذا كله وفق ما يقتضيه السياق من ذلك قوله تعالى: فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناًً(6) وبنفس المعنى ورد في موضع آخر قوله: فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً(7) وهذا ما عُرف**

1. المزهر في علوم اللغة: 1/402، وينظر ارشاد الفحول للشوكاني: 218، والتعريفات للجرجاني ط2: 60
2. نظم البديع في مدح خير شفيع: 121
3. كتاب الصناعتين: 385
4. هود: 44
5. ينظر تفسير ابي السعود: 3/36
6. البقرة: 60
7. الاعراف: 160

**عند العلماء ﺒ (تعاور المفردات) والانفجار والانبجاس يعنيان (خروج الماء) إلا أن الفرق بينهما يكمن في شدة تدفقه فالانفجار انصباب الماء بكثرة أي أشد من الانبجاس الذي هو ظهور الماء(1)، ولذلك قال أبو السعود في تفسير (فانفجرت) انها "عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كأنه حصل عقيب الأمر بالضرب أي فضرب فانفجرت"(2) وهذا يدل على مناسبة اللفظة للسياق الواردة فيه تبعاً لما سبقه من تهيئة الموقف الى حصول أمر الضرب والانفجار معاً.**

**وجاء في تفسيره لقوله (فانبجست) بانه ايضاً "عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف تعويلاً على كمال الظهور وايذاناً بغاية مسارعته عليه السلام الى الامتثال وإشعاراً بعدم تأثير الضرب حقيقة وتنبيهاً على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كأنه حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب...اي فضرب فانبجست"(3) وبذلك نلاحظ ان كلا اللفظين يشير الى معنى واحد.**

**ولذلك فقد وصفت العربية بسعة التعبير، وكثرة المفردات، وتنوع الدلالات، والترادف فيها هو أحد أسباب نمائها واتساعها حيث ان في فقه اللغات قاعدة تتضمن ان الكلمة الواحدة تعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات لذلك يقول احد العلماء بانفراد العربية بكثرة المفردات وسعة التعبير لذلك نلاحظ ان المهجور في الاستعمال من الفاظها كُتب له البقاء كما ان فيها مستعملاً قد يهجر وهكذا نجد فيها أيضاً الفاظاً أعجمية معربة، ويعزي العلماء ظاهرة الترادف فيها الى التباين بين اسم الذات واسم الصفة أو صفة الصفة(4)، فقال ابن فارس: "يسمى الشيء الواحد**

1. ينظر بلاغة الكلمة: 133، والتعبير القرآني: 359، 361، 372
2. تفسير أبي السعود: 1/129
3. تفسير ابي السعود: 2/307
4. ينظر دراسات في فقه اللغة صبحي الصالح: 296، والدرس الدلالي في خصائص ابن جني: 69

**بالاسماء المختلفة، نحو السيف والمهند والحسام. والذي نقوله في هذا إن الاسم الواحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات..."(1)، ومنه أيضاً قوله تعالى: وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَاناً وَظُلْماً (2) فالعدوان والظلم كلاهما بنفس المعنى فقال فيها أبو السعود: "اي افراطاً في التجاوز عن الحد... وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب..."(3).**

**وقد ورد (الترادف) في كتب اللغة فعقد له سيبويه في الكتاب بابا ً اسماه (هذا باب اللفظ للمعاني) فقال: "إعلم أنّ من كلامهم، اختلاف اللفظين والمعنى واحد...، نحو:- ذهب وانطلق"(4)، وعقد ابن جني باباً في الخصائص اسماه (تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني) قال فيه: "هذا فصلٌ من العربية حسن كثير المنفعة، قويّ الدلالة على شرف هذه اللغة وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة فتبحث عن أصل كل اسم منها، فتجده مفضي المعنى الى معنى صاحبه"(5) وكل ذلك اشارة الى الاتساع في اللغة العربية وان الترادف احد مظاهر ذلك الاتساع.**

1. **المشترك اللفظي:-**

**وهو أيضاً من خصائص اللغة العربية التي تميزت بكثرته فيها عن اللغات الأخرى وهو أيضاً مظهر من مظاهر الاتساع فيها واقدم تعريف له نجده في كتاب سيبويه إذ قال: "إنَّ من كلامهم...اتفاق اللفظتين والمعنى مختلف" فعقد له باباً اسماه (هذا باب اللفظ للمعاني)(6)، وانقسم العلماء في وجوده باللغة العربية الى قسمين فقسم ايد وجوده فيها وآخر انكره فيها إلا أن انكارهم جاء على سبيل جعل المعاني التي تشترك فيها اللفظة احدها**

1. الصاحبي: 65، وينظر البحث الدلالي في ارشاد العقل السليم رسالة دكتوراه: 131، 133
2. النساء: 30
3. تفسير ابي السعود: 1/514
4. الكتاب: 1/24، وينظر مفهوم المعنى بين الادب والبلاغة: 117-119
5. الخصائص: 2/113
6. الكتاب: 1/24

**حقيقياً والآخر مجازياً(1) وهذا هو المشترك اللفظي، فانكارهم له لم يكن جملةً وانما انكار ما يسيء استعمال اللغة.**

**وقد عُرِف المشترك اللفظي عند اكثر اللغويين بمصطلح (ما اتفق لفظه واختلف معناه) الا انهم يعنون بالترادف اكثر منه وربما السبب في ذلك يعود الى ان الترادف اكثر منه في اللغة، والاشتراك يقع في اقسام الكلام الثلاثة (الاسماء والافعال والحروف) وهو ايضاً ضرب من ضروب الاتساع في دلالة اللفظة الواحدة اعتماداً على التوسع المجازي للدلالة لانه كما يقول عنه اكثر الدارسين يدل على اتساع الطاقة التعبيرية للّغة وبفضله تكتسب اللفظة مرونتها فتظل قابلة للاستعمالات الجديدة من غير أن تفقد معانيها القديمة(2).**

**وقد عرف الاصوليون المشترك بقولهم: "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"(3) وقد اختصره الدكتور صبحي الصالح بقوله: "وإن شئت أن تختصر تعريفه أمكنك أن تقول: (المشترك هو ما اتحدت صورته واختلف معناه)"(4).**

**إن سبب اختلاف معاني الالفاظ المشتركة يرجع الى تغاير البيئات اللغوية أوالى مدى ولوع المستعملين لها بالمجاز أو إيثارهم الحقيقة(5).**

**اما في القرآن الكريم فقد لقيت الالفاظ القرآنية المشتركة عناية فائقة من لدن اللغويين والمفسرين فافردوا لها كتباً مستقلة من ذلك مثلاً أبو العباس المبرد الذي وضع كتاباً بعنوان (ما اتّفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد)، وابن قتيبة وضع**

1. ينظر المزهر في علوم اللغة: 1/385، وتصحيح الفصيح: 1/167

ينظر الدرس الدلالي في خصائص ابن جني: 65، والخصائص: 3/101، والمحتسب: 1/139، والمبهج: 28، وكلام العرب: 108، وعلم الدلالة احمد المختارعمر: 162و 180، ودور الكلمة: 115، والفسر: 1/155

المزهر: 1/369، وينظر فقه اللغة صبحي الصالح: 302، والطراز: 2/155-156

فقه اللغة د.وافي: 302

ينظر فقه اللغة: 302

**باباً في كتابه (تأويل مشكل القرآن) اسماه (باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة)(1).**

**ان اكثر المفسرين لم يصرحوا بلفظ المشترك الا انهم صرحوا بلفظ الترادف وما يأتي بمعناه رغم انهم مُقِرُّون بوجوده لان نزول القرآن كان بلغة العرب وعلى وفق اساليبهم الكلامية ومنهم ابو السعود الا أن اشتراك الالفاظ يتوضح من عرضهم لمعاني الكلمات القرآنية كما انهم يعدون المشترك من باب المجاز(2)، ومن الامثلة على ذلك: قوله تعالى: قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً(3)، وفي قوله تعالى: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ(4) فذكر في معنى كلمة (ذكر) أربعة أوجه فقد جاءت في الآية المذكورة من سورة الطلاق بمعنى (جبريل عليه السلام) ووردت في الآية المذكورة من سورة الزخرف بمعنى (الشرف) واحتملت أيضاً أن المقصود بها (النبي عليه الصلاة والسلام) ومعنى آخر هو (القرآن)(5).**

**وفي قوله تعالى: وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً(6) فذكر ابو السعود معاني متعددة لكلمة (رحمة) في الآية الكريمة، منها انها تعني (النبوة) واحتملت هذا المعنى لما هو وارد في سياق السورة، والمعنى الآخر انها تعني (المال والاولاد) وآخر هو (الكتاب) وذكر ان هذه المعاني تجتمع في معنى واحد تحمله هذه الكلمة بان المقصود منها كل خير ديني ودنيوي فاشتركت تلك الالفاظ به(7).**

تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة: 439

ينظر البحث الدلالي رسالة دكتوراه: 112-116

الطلاق: 10

الزخرف: 44

ينظر تفسير أبي السعود: 5/545

مريم: 50

ينظر تفسير أبي السعود: 3/431، وفتح القدير: 3/337، وينظر نفس المصدر: 5/269، والوجوه والنظائر: 53-54، وكشف السرائر: 76-77، والكشاف: 3/24، وانوار التنزيل واسرار التأويل: 4/20، وروح المعاني: 16/102

 **ومن الامثلة الاخرى الواردة في تفسير ابي السعود -على سبيل المثال لا الحصر –التي حملت ظاهرة المشترك اللفظي في كتابه كلمة (الصلاة) في قوله تعالى: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ(1) فذكر اقوال العلماء فيها حيث انها عنت (الرحمة والاستغفار) الا انه أنكر في كونها تحتمل هذين المعنيين وردّ ذلك الى انها قد يراد بها معنىً مجازياً عاماً يحتمل في كونه في (الرحمة أو الاستغفار) وهو (الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم) أو هو (الترحم) وهو ماتحمله كلمة (الصلاة) مفردةً لانها تشمل الترحم المعنوي المأخوذ من الصلاة المشتملة على الترحم والانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود الذين يمثلان الاستغفار، ولا ريب في أن استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحّمٌ عليهم(2).**

**هذا يعني انه يرى أن التعدد الحاصل في معنى الصلاة ليس من المشترك اللفظي إنما هو من الاستعمال المجازي وفي كل الاحوال فان المشترك أو المجاز كلاهما من الاتساع في المعنى وان كلاًّ منهما صحيح مناسب للسياق فلا يخالف المعنى المقصود ولا يخرج من دائرته أو موضوعه.**

**ان الفرق بين المشترك اللفظي والدلالة المجازية للالفاظ تكمن في أن المشترك يكون على سبيل الحقيقة، أما المجاز فتتغير فيه المعاني من حال الى حال باختلاف الاستعمال والتركيب(3).**

**ومثال ذلك أيضاً كلمة (النذير)، قال تعالى: أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ(4) فقد نقل ابو السعود معانيَ متعددة**

1. الاحزاب: 43
2. ينظر تفسير ابي السعود: 4/324-325، البحث الدلالي في تفسير ابي السعود اطروحة دكتوراه:
3. ينظر ابحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: 242
4. فاطر: 37

**لهذه الكلمة، قال: "المراد بالنذير رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أو ما معه من القرآن، وقيل: العقل، وقيل: الشيب، وقيل: موت الأقارب"(1)، اما المعنى الذي احتمله السياق كما يرى ابو السعود هو انه يعني (رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو ما ذهب اليه المفسرون(2).**

**نلاحظ من تلك الأمثة المتقدمة أن ابا السعود كان لا يولي المشترك اللفظي أهمية بقدر الترادف والظواهر اللغوية الأخرى كالالتفات والايثار والتقديم والتأخير واختلاف الصيغ وغير ذلك فجاءت وقفاته للالفاظ القرآنية المشتركة قليلة فهو يميز بين ما هو من المشترك الحقيقي وما هو من المشترك المجازي فيرجع اشتراك أغلب الالفاظ الى عوامل التغيير الدلالي اوالى الاستعمال المجازي لها(3).**

**ورغم الخلاف الذي حصل بين العلماء في وجود المشترك أو المترادف في اللغة العربية الا أن اكثرهم أقروا بوجودهما فيها فهما من خصائص ومميزات اللغة العربية فكما انها انفردت بظاهرة الاتساع فقد زاد فيها استعمال تلك الظواهر اللغوية التي تمثل ضرباً من الاتساع.**

1. **الاشتقاق:-**

**وهو من الظواهر اللغوية التي تميزت بها العربية ويُعرف "بانه توليد لبعض الالفاظ من بعض، والرجوع بها الى أصل واحد يحدد مادتها ويوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحي بمعناها الخاص الجديد"(4)، لذا يعد الاشتقاق ضرباً من اضرب**

1. تفسير ابي السعود: 4/372
2. ينظر المصدر نفسه، ومعاني القرآن (للفراء): 2/256، وجامع البيان: 22/142، ومعاني القرآن واعرابه: 4/272، والاشباه والنظائر في القرآن الكريم: 2/219، والوجوه والنظائر: 222-223، وكشف السرائر: 198-199
3. ينظر رسالة البحث الدلالي: 120
4. دراسات في فقه اللغة صبحي الصالح: 174، وينظر من اسرار اللغة: 62، والبحث النحوي عند الأصوليين: 84

**التوسع في المعنى في اللغة العربية فهو الوسيلة التي بها تستطيع العربية ان تحتفظ بمعانيها القديمة الى جانب معانيها الجديدة من خلال المناسبة بينهما وهي –أي المناسبة- شرط الاشتقاق ولذلك يعرفه البعض بانه "نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنىً وتركيباً ومغايرتهما في الصيغة(1)"(2) إلا أن العلماء اللغويين كعادتهم كما اختلفوا في أصل أو وجود الظواهر اللغوية الأخرى اختلفوا أيضاً في أصل هذه الظاهرة فالبصريون قالوا: إنه المصدر، اما الكوفيون فقالوا:- إنه الفعل ولا داعي للتوسع هنا في هذه الظاهرة وأصلها فكتب اللغة مليئة بالحديث عنها(3)، والذي يهمنا هو بيان أهمية الاشتقاق في سِعة العربية، فإنه يمثل الدلالة المكتسبة للالفاظ حيث انها تتمثل في انواعه الثلاث (الأصغر، والكبير، والأكبر، والنحت أو الاشتقاق الكُبّار)(4)، وفي وجود هذه الانواع الاربعة في العربية خلاف أيضاً بين العلماء الا أن المجتمع عليه ورود الاصغر في العربية أكثر من غيره من الانواع الاخرى وقد اتفقوا أيضاً(5) على "أن بعض الكلم مشتق، وبعضه غير مشتق"(6).**

**الاشتقاق الاصغر هو من أهم انواع الاشتقاق توسعاً في اللغة العربية وأكثرها معرفة عند العرب فمثلاً تصاريف مادة (ع، ر، ف) جميعها تعني الانكشاف والظهور نحو: عارف، عرفان، معرفة، معروف...الخ، فمنها تستطيع الحصول على عدد من الكلمات تصب في معنى واحد أي أن بينها رابطاً مشتركاً وهذا يساعد اللفظ على الاحتفاظ بدلالته القديمة أو الاصلية التي اشتق منها وبذلك يمثل أكثر الانواع اتساعاً وحفاظاً على الأصل القديم للالفاظ اللغوية وبذا يساعد اللغة على مسايرة التطور**

1. وفي طبعة اخرى (في الصورة) من كتاب التعريفات للجرجاني ط2: 31
2. التعريفات للجرجاني ط1: 26، وينظر كشاف اصطلاحات الفنون: 206
3. ككتاب الانصاف في مسائل الخلاف المسالة 28، وكتب فقه اللغة وغيرها
4. ينظر دراسات في فقه اللغة: 174، وأصول النحو: 126، والاشتقاق (لعبد الله أمين): 389
5. ينظر دراسات في فقه اللغة: 175
6. المزهر: 1/348

**الاجتماعي(1)، فهو وسيلة لإثراء اللغة وزيادة الفاظها وقدرتها على التعبير ويساعد على دلالتها وصيغتها.**

**اما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية للكلمة وتقلبها نحو: (ع ر ف، ع ف ر، ر ع ف، ر ف ع، ف ع ر، ف ر ع) وهكذا وأيضاً يجمعها معنى الانكشاف والظهور، وهذا النوع يكثر ايضاً في اللغة العربية الا أنه أقل من الأول فالمشتقات تكثر حسب الحاجة اليها(2).**

**والاشتقاق الأكبر:- وهو أقل وجوداً أو معرفة من سابقيه لذا قال عنه ابن جني: "هذا موضوع لم يسمّه أحد من اصحابنا"(3)، وهذا النوع له علاقة بأصوات مادة الكلمة بربطها مع معانيها من ذلك (سراط وصراط) ومنه أيضاً قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً(4) اي تزعجهم، واصل الكلمة (تهزهم) والهمز اخت الهاء(5)، وهو ماذهب اليه ابن جني وابو السعود ايضاً في تفسيره فجعلها دلالة واحدة بإرجاعها الى أصل دلالي واحد يجمع بينها إذ قال: "تؤزهم أي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهيجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات فان الأز والهز والاسفزاز أخوات معناها شدة الإزعاج"(6) وهو قول الزمخشري(7) وتابعه الآلوسي(8).**

1. ينظر من أسرار اللغة: 63، وفقه اللغة: 176، الاتساع عند الزمخشري رسالة ماجستير: 84
2. ينظر فقه اللغة: 211
3. الخصائص: 1/490

مريم: 83

ينظر فقه اللغة: 211

تفسير ابي السعود: 3/443-444

ينظر الكشاف: 3/43

ينظر روح المعاني: 16/134

**فالاشتقاق الكبير يقوم على القلب، والاشتقاق الاكبر يقوم على الابدال وقد ردّه اكثر المحدثين الى أنه ضرب من التطور الصوتي الناتج عن اختلاف اللهجات كما أن العلماء فرقوا بين نوعين من الابدال هما: الابدال اللغوي الذي يحدث في اللفظة بسبب تماثل بين حرفين أو تجانس أو تقارب أو تباعد كلها من ناحية المخرج والصفة، والابدال الصوتي الذي يكون باستبدال اصوات الكلمة بأصوات أخرى مقاربة لها في المخرج الا انهما قد يختلفان صفةً كالتاء والطاء وغيرهما(1).**

**والنحت أو الاشتقاق الكبار:- وهو القسم الرابع من اقسام الاشتقاق، فلم يعرف كثيراً عند العرب فهو أقل الانواع السابقة انتشاراً لقلة حدوثه في الالفاظ اللغوية، ومعناه: أن تؤخذ كلمتان ومن دمج بعض حروفهما تتكون كلمة تجمعهما بحيث تدل اللفظتان او الالفاظ الاولى الاصلية مثل (البسملة) مختصرة من (بسم الله) وكما في (بلعم) المأخوذة من (بلع وطعم)، وقيل ان النحت يستخدم عند الضرورة فلا حاجة له في اللسان العربي لانه يقرب الكلمات العربية الى الافرنجية(2).**

**وقد عقد ابن جني لهذا النوع باباً أسماه (باب في تلاقي المعاني، على اختلاف الاصول والمباني)(3).**

**من الانواع السابقة يتبين لنا أن زيادة حرف في الكلمة يعني زيادة في معناها وهكذا كلما زادت حروف الكلمة على الأصول أدت الى زيادة ومبالغة في معناها الذي أشارت له اللفظة الجديدة بعد الزيادة.**

**وبعد ما تقدم نؤكد وكما قلنا أن انواع المشتقات هي ضرب من اضرب الاتساع الا أن اكثرها شيوعاً هو النوع الاول منها وهو الاشتقاق الاصغر ومنه (اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ البالغة، والصفة المشبهة).**

ينظر فقه اللغة صبحي الصالح: 210-242

ينظر المصدر نفسه: 249، 274

الخصائص: 1/474

**د- التذكير والتأنيث:-**

**مظهر من مظاهر الاتساع في اللغة فعند تذكير أو تأنيث الالفاظ تتغير أبنيتها مما يؤدي الى تغير معانيها ويسمى ذلك ﺒ (علم الأبنية)(1) ، فعند انتقال اللفظة من تذكيرها الى تأنيثها ومن حقيقتها الى مجازها يؤدي الى زيادة في معانيها لذلك تدخل باب الاتساع وقلنا من حقيقتها الى مجازها ذلك لان المذكر والمؤنث ينقسم من حيث النوع الى حقيقي ومجازي.**

**فالمذكر:- هو "ما خلا من العلامات الثلاثة التاء والالف والياء في نحو: غرفة وارض وحبلى وحمراء وهذي،...، أما المؤنث:- هو ما وجدت فيه إحداهُن،..."(2)، لذلك فان المعوّل عليه أن المذكر هو الأصل والمؤنث فرع عليه لزيادة العلامات فيه فالزيادة تكون دائماً زيادة على الأصل، ونجد ذلك في قول سيبويه: "اعلم أنَّ المذكر أخَفُّ عليهم من المؤنث لأنَّ المذكر أوّل، وهو أشدُّ تمكناً، وإنَّما يخرج التأنيث من التذكير، ألا ترى أنَّ (الشيء) يقع على كل ما أُخبر عنه من قبل أنْ يعلم أذكر هو أو أُنثى، والشيء ذكر،..."(3).**

**وينقسم التأنيث الى قسمين:- حقيقي وغير حقيقي فالحقيقي يحدّه اللغويون بانه ماكان له مذكر في الأصل كالمرأة، اما غير الحقيقي فهو ما كان مؤنثاً بأصل وضعه ولا مذكر له من معناه كالظلمة والشمس(4).**

ينظر الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الثالث الهجري: 437

المفصل: 198، وينظر الانموذج بشرح الاردبيلي: 98-99 وقاموس قواعد اللغة العربية وفن الاعراب: 264-267

الكتاب: 1/22، وينظر شرح المفصل: 5/498، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: 253، وكتب النحو الاخرى كلها تكلمت عن هذا الموضوع

ينظر المفصل: 198، والانموذج بشرح الاردبيلي: 99، وقاموس قواعد اللغة العربية وفن الاعراب: 264

**ويدخل في باب الاتساع من المذكر والمؤنث القسم الثاني منهما وهو غير الحقيقي لان الحقيقي اقوى من المجازي لذا امتنع كونه في حال السعة كما وجب ان تتوافر فيه علامات التأنيث كتاء التأنيث في أوله، أما المجازي فلا يجب فيه ذلك لذلك وجب القول (جاءت هند) ولا نقول (جاء هند) أما في حال المجازي فجاز لنا القول (طلعت الشمس أو طلع الشمس)(1) ، كقوله تعالى: السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ(2)، فقال عنه الزمخشري: "وهذا يتسع جداً"(3)، وقوله تعالى: وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاًً(4)، "حمله على المكان"(5)، وقال ابن جني: "وتذكير المؤنث واسع جداً، لأنَّه رَدَّ فرع على أصل، لكن تأنيث المذكر، أذهب في التناكر والأغراب"(6)، فتأنيث المذكر أو تذكير المؤنث كله من الاستعمال المجازي لهما والمجاز كما علمنا أنه ضرب من الاتساع في المعنى ومنه أيضاً قوله تعالى: يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ (7) بالتاء، فأنث المذكر تبعاً للمعنى(8)، فقال الزمخشري: "وتأنيث الجمع ليس بحقيقي ولذلك اتسع فيما أُسند اليه الحاق العلامة وتركها..."(9) ، ومن تذكير المؤنث قوله تعالى: وَقَالَ نِسْوَةٌ (10) فجاء التذكير على ارادة الجمع من المؤنث فلم تلحق فعله التاء لأن تأنيثه غير حقيقي(11)،**

1. ينظر المفصل: 198، وشرح المفصل: 5/504، وأوضح المسالك: 2/100، وشرح شذور الذهب: 170، والخصائص: 2/411، والنكت في تفسير كتاب سيبويه: 1/154، والإيضاح في شرح المفصل: 1/554، وشرح الأشموني: 1/211
2. المزمل: 18
3. الصاحبي في فقه اللغة: 195
4. ق: 11
5. الصاحبي في فقه اللغة: 196
6. الخصائص: 2/415
7. يوسف: 10
8. ينظر الكشاف للزمخشري: 2/448

المفصل: 200، وينظر الانموذج في شرح الارديبي: 103

يوسف: 30

ينظر الكشاف: 2/461، ونتائج الفكر: 170

**ويفهم من ذلك أنه اراد قليل من النسوة ولو اراد جماعة النساء الكثر لقال (وقالت نسوة) ومن ذلك نعرف أنه يجوز التذكير والتأنيث مراعاةً للسياق الذي ترد فيه تلك الصيغ وهذا يدل على اتساع اللغة بمفرداتها وصيغها ملائمةً للتعبير عن المعاني التي تتضمنها(1)، وفي الحديث عن مريم ابنة عمران في قوله تعالى: وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ(2) ذكر ابو السعود ان تذكير لفظة (القانتين) للتغليب والاشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال(3).**

**هذا الباب من الابواب الواسعة في العربية فقد تكلم عنه القدماء والمحدثون وهم يحملونه على المعنى ويرد عندهم بمصطلحات مختلفة منها (الحمل أو الاجراء أو الوضع) فيخصون لفظ (الحمل) للمعنى، ولفظ (الاجراء) للّفظ، ولفظ (الوضع) للاثنين، وجعلوا من صوره:- المطابقة العددية كقوله تعالى: وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً(4) أي: رفقاء(5)، ومنه أيضاً التذكير والتأنيث وهو ما تكلمنا عنه ويرجعون كل ذلك لاختلاف لغات العرب الذي هو السبب أيضاً في تعدد قراءات القرآن وتعدد وجوه الاعراب.**

**إنَّ اختلاف الصيغ أو التراكيب عند البلاغيين يرجع سببه الى المعنى الذي يدل عليه اللفظ لذلك جعلوا قوة اللفظ لقوة المعنى وهذا الاختلاف يؤدي الى بناء معنى جديد في التشكيل الجديد لان الالفاظ ادلة على المعاني فكل زيادة في لفظ أو صيغة تعني زيادة في المعاني(6)، ومنه أيضاً قوله تعالى: قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي**

ينظر الاتساع عند الزمخشري: 91-96

التحريم: 12

ينظر تفسير ابي السعود: 5/742

النساء: 69

ينظر الاتساع عند ابن جني: 25-26

1. ينظر مفهوم المعنى بين الادب والبلاغة: 120، والمثل السائر: 2/249-250

**سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم (1) فذكر ابو السعود أن سبب إيثار صيغة الجمع هنا "للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع على أنها صفة للفئة الأخيرة أو مستأنفة مبنية لكيفية الآية"(2) فالايثار في الصيغ قد يعني احياناً الاتساع في المعنى.**

**وقوله تعالى: أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا(3) قال فيها ابو السعود: "والمعنى حين أصابكم من المشركين نصف ما قد أصابكم بهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من أين أصابنا هذا..."(4)، فتذكير اسم الاشارة مع انه اشارة لمصيبة لم يكن لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه في المعركة من حيث هو هو من غير ان يخطر ببالهم تسميته باسم ما وان تسميته باسم المصيبة جاء عند الحكاية(5).**

**ومن اختلاف الصيغ ايضاً استخدام المضارع بدلاً من الماضي كما في قوله تعالى: قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ(6) فاستخدام صيغة المضارع بدل من الماضي للدلالة على استمرار التلاوة ودوامها(7) وسنبين ذلك في الفصل الثاني من هذه الدراسة إن شاء الله.**

1. آل عمران: 13
2. تفسير أبي السعود: 1/335
3. آل عمران: 165
4. تفسير أبي السعود: 1/442
5. ينظر المصدر نفسه
6. النساء: 127
7. ينظر تفسير أبي السعود: 1/589